الفصل السادس

منابع الرؤية المطبوعة :

يتضح لنا من الأبحاث السابقة والتى عرضناها أن عملية الرسم مثلا تبدو وكأنها تتم من خلال برنامج قد تعلم الفرد القيام به أى تدرب عليه وانطبع فى ذهنه وحفر فى ذاكرته برنامج لرسم انسان مثلا أو طائر ، أو حيوان · وهكذا · كل برنامج يتعلمه الفرد يختزن فى العقل وكأن العقل أصبح « كالكمبيوتر » الذى يمتلىء بالبرامج العديدة والمتنوعة · هذه البرامج قد صنفت ، ورتبت وبوبت فلا تختلط ببعضها وعند الحاجة الى أى منها تخرج لتجد طريقها فى النور على سطح الورقة بالقلم أو فرشاة اللون عند المصور ، أو من خلال أزميل النحات فى تشكيله عند عمل التمثال · كما أن كل برنامج قد طبع وحفر فى الذاكرة يظل حيا ناصعا طالما يتم استدعاؤه بين الحين والحين علما بأن هناك برامج لا تظل بهذه الصورة من النصاعة واللمعان وذلك لعدم تداولها ولا يعنى عدم تداولها انها قد تلاشت من الذاكرة تماما وانما تحتاج لاستداعئها نوعا من الجلاء ونفض الغبار عنها لتعود لنصاعتها وبريقها السابق حتى ولو كانت هذه البرامج قد مضت عليها سنين طويلة فهى مازالت فى العقل ذلك « الكمبيوتر » العجيب حيث يتم استدعاؤها فى أى وقت يشاء الانسان ·

يتضح لنا أيضا أن الفن يتغذى على الفن والسبب فى ذلك يرجع الى أن الصورة أو الشكل او البيئة فى الفن تتجمد فى الزمان والمكان وتصبح هيئة ذات بعدين يسهل علينا استدعاؤها ولعل ما يلفت النظر ما تثيره هذه الابحاث من أمور تستدعى الاهتمام واعادة التفكير فيما وصلنا اليه من

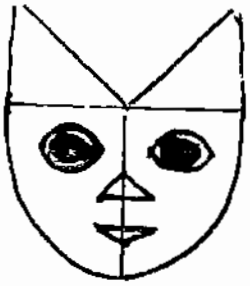

(شكل ٣٠)

مفاهيم عن كيفية الرسم والنمو فيه ، ومنبع الرؤية فى الفن والتقليد والمحاكاة ، والابتكار ، والأصالة · كل هذه الأمور لابد من اعادة بحثها بدقة حتى ندرك تماما الحقيقة وراء بناء العمل الفنى ·

ان هذه الأبحاث بما تعرضه من أفكار تعيدنا الى الوراء ثانية لفترة مضى عليها أكثر من خمسين عاما ، كان الاعتقاد فيها ان الفن ما هو الا حرفة Craft أو صنعه وأنه لا يتم الا من خلال تدريبات وكلما كانت هناك متابعة ودأب متواصل على هذه التمرينات والتدريبات فان ذلك يكون مبشرا للمتعلم لكى ينتج فنا فى المستقبل ·

ان تعلم الفن من خلال تدريبات ـ لعلنا نطلق عليها هنا ما اطلقته الأبحاث التى عرضناها بأنها برامج تنطبع فى ذهن الفرد ـ يجعل الكاتب يعود بذاكرته الى أحد هذه البرامج عن كيفية رسم حيوان كالقط أو الاسد أو النمر · ذلك البرنامج الذى يتم العمل فيه من خلال قصة لفظية تقول بأن حرف (L) الانجليزى أراد أن يبنى له بيتا فأحاط نفسه بجدار هكذا (شكل ٣٠) ثم قام بعمل كوخين أعلى السقف وقام بفتح نافذتين أعلى ونافذة فى الوسط ثم مدخلا تحت النافذة الوسطى · وفى يوم من الأيام بعد أن استقر فى بيته أراد أن يقوم بزيارة لحرف الراء (ر) العربى

(شكل ٣١) يمثل حـــرف T الأنجليزى
وحـرف « الـراء » « ر » العـربى على اليسار

فسلك طريقة هكذا (شكل ٣١) حتى وصل الى حرف الراء وبعد أن أتم زيارته وبينما هو يسير فى طريق عودته تعثر ووقع ثم سقط الى اسفل ثم ارتفع ثانية وهو فى سقوطه وارتفاعه ثانية انما يحقق بذلك تشكيل أرجل القطة الأربعة ٠ (شكل ٣٢) ٠

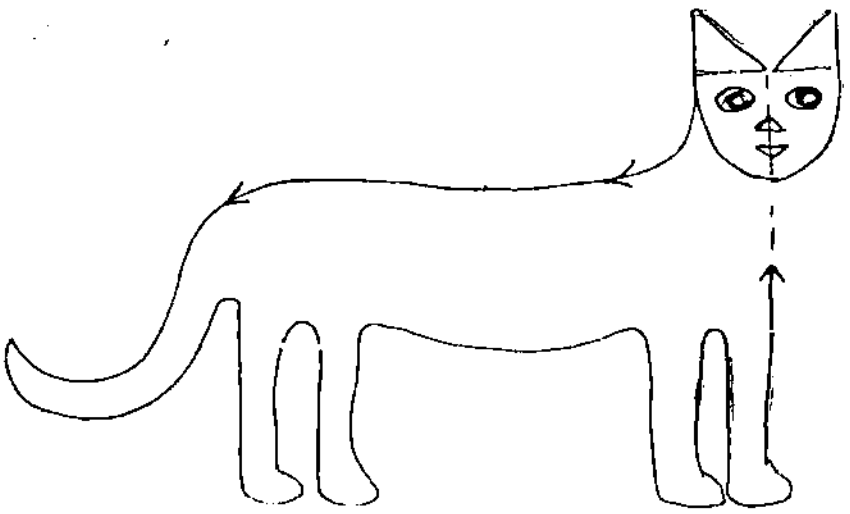

(شكل ٣٢) يمثل شكل حيـوان اسـتعين فى رسمه
بحرف L الانجليزى وكذلك حرف « الراء « ر » العربى

لو تأملنا هذا البرنامج لاتضح لنا أنه يقوم على الذكر بما تتضمنه القصة التى تدور بين حرف (T) الانجليزى وحرف الراء (ر) العربى والكاتب هنا يعود بذاكرته الى الوراء أكثر من ثلاثين عاما حينما بدأ ولأول مرة تعلم ذلك البرنامج من والديه وهو لم يتجاوز الخامسة أو السادسة من العمر ذلك البرنامج الذى مازال مطبوعا ومحفورا فى ذاكرته والذى مازال يعمل حتى الآن أى من الممكن استدعاؤه عند الحاجة · هذا البرنامج وبرامج أخرى عديدة لا يزال يختزنها فهى مازالت محفورة ومطبوعة فى ذهنه من أيام الطفولة والتى تعتبر الأجرومية الأولى والبدايات الأولى فى قاموسه الفنى ·

ولقد شاع هذا النوع من التعليم خلال الثلاثينات ففى أحد الكتب التى قررت وزارة المعارف العمومية تدريسه فى جميع مدارس المعلمات الأولية والابتدائية للبنات ومدارس روضة الأطفال وهو تحت عنوان « روضة الأطفال ـ للمدارس الأولية » أربعة اجزاء جمع وتعريب انصاف سرى ناظرة مدرسة البنات الأميرية بشبرا ـ الطبعة الثانية ١٩٤٨ هـ ـ ١٩٣٠م أى ما يزيد على نصف قرن تقريبا · فالكتاب كما تقول المعربة : قد أتى على وصف « هدايا فريبل » التى وضعها لتدريب كل حاسة من حواس العقل على حدة وهذه الهدايا ، وان كانت قديمة العهد تفيد القارىء فى دراسة مبادىء فريبل Friedrick Froebel فى التربية » ففى صفحة ٣٢ وتحت عنوان « أمثلة لطريقة الرسم للقياس عليها » يعرض الكتاب أمثلة عديدة عن كيفية رسم البرتقالة والليمونة والقط والعصفور ··· وهكذا نعرض منها هنا خطوات عن كيفية رسم القط وهى تتشابه مع ما عرضناه من قبل من رسم للقط باستخدام حرف (T) الانجليزى مع حرف الراء العربى هذه الخطوات رتبت كما يلى :

أ ـ يرسم شكل بيضى باللون الأبيض ليمثل جسم القط انظر شكل (٣٣) ·

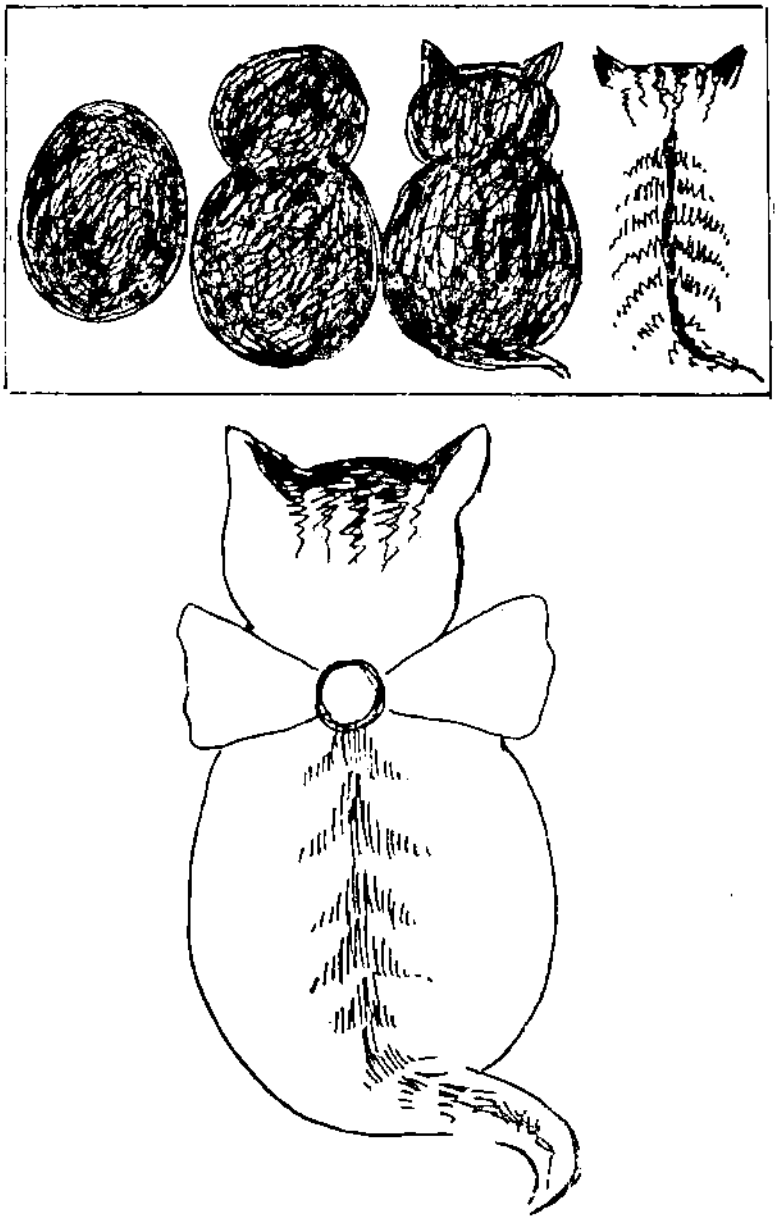

(شكل ٢٣) يمثـل خطوات عن كيفية رسم القـط

٢ ـ ترسم كرة فى أعلى الجسم بشرط ان يكون نسبة حجمها للشكل البيضى كنسبة رأس القط لجسمه ٠

٣ ـ ترسم الأذنان والذيل باللون الأبيض كذلك ٠

٤ ـ تظلل نصف الأذنين باللون الأسـود ثم تظلل الرأس فالجسـم فالذيل كذلك باللون الأسود كما هو مبين بالرسم ٠

٥ ـ يبدأ فى عمل الشريط (الفيونكو) يرسم كرة صغيرة جدا بلون الأزرق فى وسط الرقبه وهذه تمثل العقدة التى تربط الشريط ومنها يرسم الجزء الايمن فالأيسر من الشريط كما فى الرسم ٠

كما تعرض أيضا مثالا آخر عن كيفية رسم عصفور كما يلى :

١ ـ يرسم شكل بيضى باللون الأبيض وهذا يمثل جسم العصفور

٢ ـ يضاف اليه جزء آخر بيضى الشكل أيضا ليمثل الرأس ٠

٣ ـ ترسم الخطوط للذيل والأجنحة والأرجل باللون الأسود ٠

٤ ـ تظلل الرأس والظهر والأجنحة والذيل باللون الأسود ثم يعزز ذلك بالأدكن ليكون اللون قاتما ٠

٥ ـ يوضح المنقار باللون الأدكن ويضاف اليه خط صغير باللون الأبيض ٠

٦ ـ توضـح نقطـة صغيرة باللون الأبيض لتمثل العين انظر شكل (٣٤) ٠

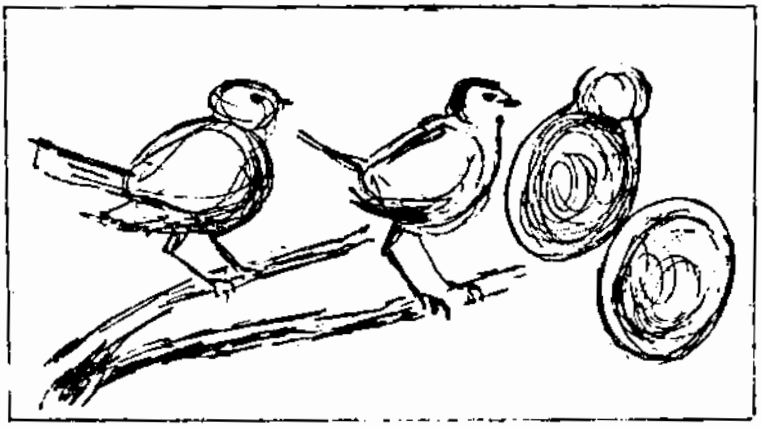

(شكل ٣٤) يمثل خطوات عن كيفية رسم عصفور

هذه الأمثلة لطريقة الرسم كان يستخدم فيها خامة الطباشير الملون أما فى خامة الصلصال و « تحت عنوان » التصوير بالصلصال » صفحة ٢٢ و ٢٣ يذكر الكتاب أمثلة للأشياء التى يمكن تصويرها بالصلصال وهى كما يلى ـ الكرة ـ الكرات (البلى) ـ عقد من الخـــرز ـ برتقاله ـ تفاحة ـ برقوقه ـ بلحة ـ خيارة ـ موزه ـ كمثرى ـ ليمونه ـ لفته ـ فوله ـ قوطه تفاح الأرض ـ بصل ـ بيضة ـ رمانة ـ عش عصفور ـ مركب ـ قارب ـ صحفة وكأس ـ أصيص ـ حذاء طفل ـ رغيف ـ مبراه ـ مقص ـ ملعقة ـ ورق شجر ـ مضرب ـ شمعة ـ ودعة ـ سمكه ـ الخ ٠٠

كل هذه الأمثلة وعلى ما يبدو ما هى الا تدريبات « برامج » يتم من خلالها تعلم الطفل كيفية رسم كل من هذه العناصر على حده ٠

الفن يكشف ما حولنا :

اننا ونحن أطفـال نتعايش مع كل ما حولنا ونألفـــه بل وندرك كل صغيرة وكبيرة فى منزلنا ٠ واطفالنا اليوم مثلنا تماما فكل صغيرة وكبيرة تحـــدث فى المنزل هم أول من يدركونها ٠٠٠ تحـريك صـورة معـــلقة على الحـــائط ٠٠٠ تغيير قطـعة من الاثاث ٠٠٠ كل شـيء تائه ، أو يخـــفى عن انظـــار الوالدين يســـتطيع الأبنـاء الصـغار التـقاطه تمامـا ، فالمنزل بالنسـبة للصغير عـالم خاص به ، مملـكته التى يتربع على عرشها فكل ما بداخلها يعرفه الطفل تماما ، تقول هنا يعرفها ولكنه لا يراها وتقصد هنا بانه لا يراها أى لا يتمعن فى تفاصيلها فربما يراها أو بالفعل يراها تماما ولكنها مع ذلك لا تمثل محور اهتمامه فتمر مرورا عابرا ٠ ولتوضيح ذلك تقول باننا نملك البصر وطالما لنا عيون فاننا لابد وأن ترى وهذه حقيقة تتصل بتركيب العين وطبيعة الادراك البصرى الأمر الذى يجعلنا نرى أى شيء أمامنا وحولنا ٠ لكننا مع ذلك نرى أشياء معينة بالذات وربما نلتفت اليها فجأة ونظل نتابعها بأبصارنا ٠ أشياء بعينها

حتى لو كانت هذه الأشياء أو هـذا الشيء يحيطه العديد من الأشـكال الأخرى ـ اذا لماذا هذا الشيء بالذات ؟ نتوقف عنده وتتحول أنظارنا له لترتكز عليه بينما كل ما حوله يكون كما نطلق عليه فى علم النفس على هامش الشعور لا تراه العين · ففى الترام أو القطار مثلا تجلس وننظر حولنا وكأن شيئا لم يكن فالأمر عادى تماما ولحظة يتحول النظر فجأة ويرتكز على وجه انسان ويلتصق به نرى الذهور من حولنا وفجأة يتجه نظرنا الـ ىنوع معين ولون معين · يظل هذا اللون أو الشكل منطبعا فى ذهننا بينما كل ما كان يحيط به يبعد تماما عن دائرة اهتمامنا ، نعيش فى حى من الاحياء ونسير فى شوارع معينة ربما لسنوات ولا يتبادر لذهننا مرة واحدة أن ننظر أعلى مثلا ثم يحدث ذلك فنفاجأ باشياء لم نرها من قبل بينما هى موجودة ربما قبل أن نأتى لهذا الحى · هذه الظواهر تدعونا الى التأمل والدراسة · ان الانسان يعيش فى بيئته ويموت وربما لم يتراءى أمام عينيه الا قدر ضـئيل منها ذلك أنه طـوال الوقت يرتكز أدراكه على أشياء بعينها ويظل ملتصقا بها حتى الممات ·

ان الفن يلعب دورا هاما فى رؤيتنا لبيئتنا والطبيعة من حولنا والتى لم يكن ممكنا لنا رؤيتـــها لولا ان الفن قد اظهرها لنا فأدركنـا جمالها ووجودها وعلى هذا نستطيع أن نقول أن الطفل الصغير ـ وهذا من خلال خبرة الكاتب ـ يتعايش مع كل شيء فى منزله ويعرف ما حوله · انه يبصر كل شيء ويعرفه ولكن الفن طريقة لطبع هذه الأشياء فى ذهنه الى ان يعود فيختزنها بعينها دون غيرها ويسهل عليه استرجاعها فى أشكال مرئية للعين دون جهد وعناء ·